وضمد جراحي بالحديث عن جراحه . وظل يوسع في الكوة الضيقة الوحيدة حتى رأيتها في عرض الافق الذي لم أره من قبل . واصبحت قضبانها المتشابكة جسورا نحو القمر ، وما بين فراشي وفراشه حدائق معلقة .

وكنت أحدثه عن نفسي بما كنت أحلم به عن نفسي . وما كنت كاذبا . انما تحاشيت ان ادنس جلال هذا المقام بخصوصيات جردني منهـا السجانون حين جردوني مـن ملابسي الخصوصية . ها أنذا متجرد امام متجرد . فكيف تخرج يا آدم مـن الجنة بمحض ارادتك ؟

الا أن الحراس لم يمهلوني . فقد جاؤوا وأخرجوني مـن الجنة ونقلوني الـى القاووش . . وهو قاعة طويلة في السجن يرقد فيها السجناء متراصين كل على برشه . وهو سرير حديدي فوقه فراش من القش . فبقيت عدة ايام ارتكب المخالفات لعلهم ينقلونني الى الزنزانة فألتقي ذلك الشاب الذي ناداني بيا والدي . ولكنهم لم يفعلوا .

وعلمت من السجناء انه فدائي فلسطيني قادم من لبنان أسره العسكر جريحا .

وقالوا ان اسمه هو سعيد . فقلت : عاشت الاسامي . فقالوا : ولكنه لم يتسم بشكسبير . وابتسموا مواسين . فانشغلت بتضميد جراحي وبالبحث عن سعيد الاول حتى التقيت اخته ، يعاد الثانية ، وأنا خارج من السجن مطلق السراح للمرة الثالثة .

[٦]

سعيد ينشد أنشودة السعادة

فالذي يدخل الى السجن ، في بلادنا ، يصبح حاله كحال المكوك في يد الحائك : داخل خارج . واما حائكي فهو الرجل الكبير . لم يشفع بي مـاضيّ الابيض بل زاد سواد حاضري سوادا . حتى رأيت باب السجن الحديدي بابا بين ساحتين في سجن واحد ، ساحة داخلية اتمشى فيها ساعة ، فأستريح ، وساحة خارجية اتمشى فيها ساعة ، ثم أروح .

وفيما أنا في مدار هذا الصاروخ المكوكي جاءني الرجل الكبير مهددا بأنهم سيظلون ورائي من سجن الى سجن حتى أهلك حبيسا أو طليقا أو أن أعود الى خدمتهم .

ـــ حلوا عني واركبوا غيري !

ـــ هل تتوهم اننا نجد أمثالك ملقين على قارعة الطريق ؟

ـــ قضيت نصف عمري في خدمتكم . فدعوا البقية أعيشها كبقية خلق الله ، لا أهش ولا أنش .

ولكنه أفهمني ان هذه الخدمة لا فكاك منها حتى بالموت . وقال : أبوك أورثها لك وستورثها لاولادك من بعدك . وسوف يلعنونك الا ان ذراعنا الطويلة ستنالهم ، جيلا بعد جيل .

وهددني بأن الناس لن يؤمنوا بتوبتي بل سيقولون ان العرق دساس وان من شب على شيء شاب عليه ، وبأنني لن أجد ملاذا غـيره . وهددني بالسجن . وهددني بالتعذيب . وهددني بالموت جوعا .

ولكنني لم أجع . فقد بسطت ، في زاوية في وادي النسناس ، بسطة كنت أبيع فيها الخضار . . فاذا جاء موسم البطيخ بعته أحمر حلو المذاق على السكين . فلما سلطوا